المحاضرة الأولى: البحوث الكمية

محتوى المحاضرة:

- مقدمة
- مفهوم البحث الكمي
- المعايير الأساسية للبحوث الكمية
- خصائص البحوث الكمية
- انتقادات البحث الكمي

أهداف المحاضرة:

- معرفة الطبيعة الإبستيمية والمنهجية للبحث الكمي الذي يلتبس مفهومه مع مفهوم البحث الكيفي عند الكثير من الطلبة.

مقدمة:

تعتمد الدراسات في معالجة مختلف الظواهر على أساليب مختلفة قصد الوصول الى الأهداف المحددة ، فالوصول إلى هذه الأخيرة تستدعي من الباحث اختيار المنهج والأداة والوسائل التي تتلائم مع الظاهرة المراد معالجتها، إذ يلجأ الباحث في خضم ذلك إلى اختيار نوع البحث الملائم وطريقة التحليل المناسبة إن كانت كمية أو كيفية، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الاختيار لن يكون اعتباطيا ولا بصورة عفوية بل انطلاقا من هدف الدراسة تحديدا ، وأيضا من مدى تحكم الباحث في مختلف المداخل النظرية.

ويعتمد كل من البحث الكمي والكيفي على إستراتيجية محددة وعلى تقنيات بحث خاصة ويرتكز ذلك على نوعية البيانات المراد الحصول عليها وهدف الباحث منها، وهذا ما سيتطرق إليه في هذه المحاضرة، ونبدأ بالبحوث الكمية.

1.مفهوم البحث الكمي :

التعريف الأول: البحث الكمي هو استقصاء منظم يتضمن تحليل إحصائي وصفي استنتاجي للقياس الكمي للظاهرة موضوع الدراسة.

التعريف الثاني: هي البحوث التي تهتم بالتحقق العلمي المنهجي للظواهر وتستخدم الأرقام في تحليل بياناتها، وتخضع لشروط الصدق والثبات وتعالج بياناتها إحصائيا ويمكن تعميم نتائجها على المجتمع الأصلي.(ماهر أبو المعاطي علي ،2014،ص 133)

2. المعايير الأساسية للبحوث الكمية:

أشار الباحثين في مجال المنهجية إلى أن المعايير التي يعتمد عليها البحث الكمي، هي نفسها تلك التي تقوم عليها "الوضعية" و التي تتمثل أساسا في:(فارع، 2017، ص ص104-106)

أ- إدراك الواقع: من مميزات المنهجية الكمية أنها تنظر إلى الواقع بوصفه شيئا موضوعيا و بسيطا و ثابتا و يتكون الواقع من انطباعات حسية تدركها الحواس و حدها، كما أن هناك واقعا واحدا في الطبيعة و حقيقة واحدة أيضا و الواقع مستقل عن الوعي الإنساني ويرتكز على نظام تحكمه قوانين طبيعية صارمة و ثابتة و تساعد معرفة هذه القوانين في التحكم بمخرجات الفعل البشري والتنبؤ بها، يعرف جميع أفراد المجتمع الواقع بالطريقة نفسها لأن الأشياء تولد المعاني نفسها و الناس يرونها و يسمونها بالطريقة نفسها.

ب- إدراك الإنسان: البشر أفراد عقلانيون تحكمهم قوانين اجتماعية و يدرس سلوكهم بالملاحظة و تحكمه أسباب خارجية تؤدي إلى نتائج ثابتة (الأسباب نفسها تؤدي إلى النتائج نفسها)، و يشكل البشر وفقا لعالمهم الاجتماعي على نحو ما تحكم العالم المادي قوانين ثابتة، فهم يخضعون لأنماط حياتية ثابتة يمكن ملاحظتها تجريبيا (أطروحة التفكير المقنن)، ليست هناك إرادة حرة، لكن العالم على الرغم من ذلك ليس حتميا و الأسباب تؤدي إلى نتائج تحت أوضاع معينة و يمكن التحكم بالتنبؤات عند توافق هذه الأوضاع.

ج – طبيعة العلم الاجتماعي:هنا يكون العلم الذي هو أداة تحصيل المعرفة:

- مرتكزا على قواعد و إجراءات صارمة و هو يختلف جذريا عن التأمل و البصيرة و الفهم الشائع أو الحس السليم.
- استدلاليا ينتقل من العام / المجرد إلى المحدد /الملموس
- مقننا يرتكز على قوانين سببية كونية تؤثر في مجرى الحوادث و العلاقات الاجتماعية.
- معتمدا على المعرفة التي نحصل عليها نتيجة خبرات الحواس و تعد مصادر المعرفة الأخرى غير موثوق بها، ذلك أن الملاحظة و الخبرة أساس المعرفة و تكون مهمة الباحث اكتشاف القوانين العلمية التي تفسر سلوك الإنسان باستخدام الطرائق الكمية التي تشبه الطرائق المستخدمة في العلوم الطبيعية.

د – غرض البحث الاجتماعي: ينظر الباحث الكمي إلى البحث الاجتماعي بطريقة أذاتية بوصفه أداة لدراسة الحوادث الاجتماعية و معرفتها و معرفة العلاقات في ما بينها لنتمكن من اكتشاف القوانين السببية العامة و تفسيرها و توثيقها، إن المعرفة بالحوادث و القوانين الاجتماعية تمكن المجتمع من التحكم بالحوادث و التنبؤ بوقوعها و نتائجها

3.خصائص البحوث الكمية :

تتميز البحوث الكمية بعدة خصائص تميزها عن أنماط البحوث الأخرى ومن أهم تلك الخصائص:

الخاصية الأولى: تستهدف التنبؤ واختبار الفروض المحددة مسبقا، معتمدة على فكرة العد والبحث وعن الارتباطات بين الظواهر المادية التي تقبل القياس والملاحظة من الخارج، والتأكيد على الطابع الكمي للمتغيرات التي تُكون مشكلة البحث.

الخاصية الثانية: إن الباحث في البحوث الكمية قد يكون منفصل ومتباعد وليس له أي دور في العملية البحثية ذاتها معتمدا على قياس الحقائق الموضوعية ومؤكدا على أن للحقيقة وجه كمي، بما تقدمه تلك البحوث من أرقام وجداول ونسب مئوية ومعاملات إحصائية وفقا لطبيعة البيانات.

الخاصية الثالثة: تعتمد هذه البحوث على الإستنباط وتهتم بتطبيق النظرية على الواقع، مع محاولة لتحليل عناصر مشكلة البحث إعتمادا على أدوات لجمع البيانات كالمسح الاجتماعي، المقابلات المقننة، إحصاء البيانات.

الخاصية الرابعة: أن إمكانية تعميم النتائج واردة بدرجة كبيرة، وإعتمادها على تصميم تجريبي أو شبه تجريبي كطريقة نموذجية للتحقق من صدق المعرفة.

الخاصية الخامسة: تستند إلى الفلسفة الوضعية المنطقية والتي لا تقبل أي قضية إلا إذا ثبت صحتها بالرجوع إلى الواقع الأمبريقي للتحقق من صدق المعرفة.(ماهر أبو المعاطي علي،2014 ، ص ص138،139)

4. انتقادات البحث الكمي:

تتجلى الانتقادات التي وجهت إلى المنهج الكمي، في الانتقادات التي وجهت إلى الأنموذج الوضعي، و منه فإن نقد المنهج الكمي هو نقد للوضعية، ويمكن تلخيص هذه الانتقادات من خلال النقاط التالية:(سوتيريوسسار انتاكوس، 2017 ،ص ص108-110).

– **الواقع**: يعرف المنهج الكمي الواقع بأنه موضوعي و هذا خطأ لأن الواقع ليس موضوعيا بل فعلا اجتماعيا مفسرا.

– **المعاني**: يعطي هذا المنهج أهمية فائقة للقياس الكمي على الرغم من أنه يؤدي أحيانا إلى "معان" أقرب إلى المعتقدات منها إلى تلك الكامنة في الواقع.

– **الفرضيات**: تؤدي الفرضيات التي تصاغ قبل بداية البحث إلى تحيز في مجريات البحث كما أنها تحد من خيارات البحث وتفرض على أراء المبحوثين أو مقاصدهم التي ما كانوا ليفحصوا عنها في غياب هذه الفرضيات.

– **المظهر و الجوهر**:لا يستطيع المنهج التجريبي التمييز بين مظهر الحوادث الاجتماعية و جوهرها، فهو يتجاهل جوهر الحياة ويدرس "المظاهر" فحسب و يفترض أن الظاهر هو الواقع.

– **الوضع الراهن**:يستخدم منظورا نظريا و نوعا من البحث يدعمان الوضع الراهن و بنى السلطة القائمة.

– **طرائق البحث**:تتمتع طرائق البحث بموقع مركزي إلى حد أنها تحدد معايير البحث و بدلا من تعديل المنهج أو طريقة البحث لتنسجم مع الواقع يقوم الباحث بتعديل الواقع أو تكييفه لينسجم مع المنهج، و بدلك يقتصر البحث على ما

يمكن مقاربته بطرائق البحث المتوافرة و ما لا تمكن مقاربته بطرائق البحث الكمية يحكم عليه بأنه غير مهم و غير جدير بالدراسة فلا يدرس.

– **الباحث**: المنهج الكمي يحيد الباحثين و تأثيرهم في موضوع البحث إلى حد يختزل فيه الباحث إلى شيء مجرد، فيصبح غريبا عن العلم الذي يدرسه، يتم ذلك بإخفاء شخصية الباحث و إيجاد حالة من الانفصال تحيد خبراته و أرائه الشخصية و كذلك من خلال استخدام الطرائق و الأساليب المقننة و الدقيقة حيث يصبح الباحث مجرد فني خبير يسعى إلى تحقيق أهدافه تكنوقراطية (ناتجة من خبرة) علاوة على ذلك، يصبح المبحوثون مجرد "وحدات" أو "أشياء" و يعاملون على هذا النحو و في النهاية يمنح الباحث سلطة على المبحوث.

– **المادية**: يتبنى المنهج الكمي أنموذج العلوم الطبيعية ثم يطبقه في العلوم الاجتماعية، و بذلك يتعامل مع الأفراد و كأنهم عناصر طبيعية، فيلتمس الانتظام في الحوادث الاجتماعية كما في الظواهر الطبيعية و هذه ممارسة غير مقبولة.

– **الموضوعية**: الاعتماد على الموضوعية لا مبرر له و الموضوعية ليست ممكنة و لا ضرورية و لا مفيدة لأن انطباعات الباحث وتفسيراته تتخلل سيرورة البحث من جوانب عدة و ثمة فوائد عدة للذاتية في البحث الاجتماعي ، أما الموضوعية فتؤدي إلى تجريد تكنوقراطي و بيروقراطي من الإنسانية.

– **إجراء البحث**: يستخدم المنهج الكمي تصميما دقيقا يحدد ما هو ملائم للدراسة و كيفية دراسته كما يحدد ما هو مطلوب وما له معنى أو فائدة حتى قبل الشروع في الدراسة ، و هذا يحد من خيارات سيرورة البحث و يكبت روح المبادرة و الدافعية عند الباحث و يحد من فاعلية البحث و ينتج بيانات مصطنعة لا تعكس الواقع ككل.

– **السياق**: يعتمد المنهج الكمي فصل الشيء المدروس عن سياقه حيث تصبح صفات المبحوثين متغيرات و تصبح كثافة المشاعر والمواقف مجرد أرقام و بيانات حاسوبية و مثل هذه الإجراءات تغير من بنية الحياة الاجتماعية وسيرورتها وتحول العالم إلى مختبر اصطناعي.

ورغم هذه الانتقادات التي يواجهها البحث الكمي (الوضعي) إلا أنه مازال من البحوث التي تستخدم بقوة في فهم الحياة الاجتماعية.